

## الإمام لا يغسله إلا الإمام-4

أما لو قلنا بأن ذلك في العلن فنحن أمام ما يثبت ذلك من خلال الروايات، وقد لاحظت بعض الروايات التي تشكل بمجموعها قرائن تدل على تغسيل وتكفين ودفن غير المعصوم للمعصوم.

إشكال ورده:

وقد يستدل على ذلك بدعوى بعض القرائن منها:

1- دعوى الإجماع على أنّه لا يلي أمر الإمام إلا الإمام مثله.

وفيه: إن كان المقصود الإجماع المنقول؛ فالإجماع كما عرفت سابقاً خلاف ذلك، فقد أجمع العلماء على أنبني أسد هم من دفونوا الإمام الحسين، وإن كان الإجماع المحصل فالمحصل أيضاً على خلاف ذلك إلا إن كان المقصود به المحصل عند المعاصرين ولا رأي للمتقدمين في ذلك!

2- تصريح بعض الروايات بذلك.

منها: رواية الكشي حيث ورد فيها أنّ علي بن أبي حمزة البطائني قال للإمام الرضا إزّاماً رويانا عن آبائه أنّ الإمام لا يلي أمره إلا الإمام مثله فقال له أبو الحسن الرضا فأخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً، قال: فمن ولد أمره؟ قال: علي بن الحسين. قال كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد. قال: خرج وهو لا يعلمون حتى ولد أمر أبيه ثمّ انصرف. فقال أبو الحسن: إنّ هذا أمكن علي بن الحسين أنْ يأتي إلى كربلاء فيلي أمر أبيه فهو يمكن صاحب هذا الأمر أنْ يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثمّ ينصرف وليس في حبسه ولا أسر [1].

وقد استدل بها على أن الإمام السجاد ولد أمر الإمام الحسين عليهما السلام وليس التغسيل فقط، باعتبار أن ابن البطائني لم يسأل عن التغسيل.

ومنها: ما رواه الكليني في روضة الكاف في بسنته عن عبد الله بن القاسم البطل عن أبي عبد الله في قوله

تعالى: ﴿لَّا تُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَ تَبَّعْنَ﴾ (١٠) ورد في ذيلها (ولا يلي الوصي إلا الوصي)[\[2\]](#).

ومنها: ما رواه ابن شهراشوب في المناقب قال: وقد روي أنّـا أهل بيت النبوة والرسالة والإمامـة... وإنـّـ الإمام لا يتولـّـ ولادته وتغميشه وغسله ودفنه إلا إمام مثله [\[3\]](#).

وجوابـه - وبغضـ النظر عن سندـها - :

أولاًـ: إنـ أكثرـ الرواياتـ حصرـ الكلامـ في التفسـيلـ، بلـ والقـاعدةـ المـذكـورةـ وهيـ (الإـمامـ لاـ يـغـسلـهـ إـلاـ إـمامـ)ـ تـبيـنـ أنـ الأـهمـ فيـ ذـلـكـ التـفـسـيلـ، وإنـ أـشـارتـ بـعـضـهاـ كـمـاـ عـرـفـتـ مـنـ جـمـلةـ مـنـ الرـوـاـيـاتـ أنـ الإـمامـ باـشـرـ التـفـسـيلـ وـالـتـكـفـينـ وـالـدـفـنـ مـثـلاًـ.ـ ولكنـ عـلـىـ أـرـضـ الـوـاقـعـ الـمـرـئـيـ وـالـدـلـلـ لـمـ يـكـنـ كـذـلـكـ كـمـاـ سـتـعـرـفـ فيـ النـقـطـةـ التـالـيـةـ.

ثـانيـاًـ:ـ إنـ هـنـاكـ روـاـيـاتـ عـدـيدـةـ مـاـ ذـكـرـنـاـهـاـ سـابـقاًـ تـخـالـفـ هـذـهـ الرـؤـيـةـ وـيمـكـنـ تقـسيـمـهاـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ:

ـ1ــ الروـاـيـاتـ الـتـيـ تـحـدـثـتـ عـنـ أـنـ غـيرـ الإـمامـ غـسلـ وـكـفـنـ وـدـفـنـ الإـمامـ،ـ كـمـاـ فـيـ تـغـسـيلـ سـلـيـمانـ بـنـ جـعـفـرـ،ـ وـتـولـيـ بـنـيـ أـسـدـ لـشـأنـ الإـمامـ الـحـسـينـ،ـ كـمـاـ فـيـ رـوـاـيـةـ كـامـلـ الـزـيـارـاتـ الـمـارـةـ الـذـكـرـ وـتـغـسـيلـ أـمـ وـلـدـ لـلـإـمامـ السـجـادـ(عـ)،ـ وـمـاـ جـاءـ فـيـ عـيـونـ أـخـبـارـ الرـضاـ (.....ـ وـبـكـرـ الـمـأـمـونـ:ـ مـنـ الـغـدـ فـأـمـرـ بـغـسلـهـ وـتـكـفـينـهـ،ـ وـمـشـ خـلـفـ جـنـازـتـهـ حـافـيـاـ حـاسـرـاـ يـقـولـ:ـ يـاـ أـخـيـ لـقـدـ ثـلـمـ الـاسـلـامـ بـمـوـتـكـ،ـ وـغـلـبـ الـقـدـرـ تـقـدـيرـيـ فـيـكـ،ـ وـشـقـ لـحدـ الرـشـيدـ دـفـنـهـ مـعـهـ،ـ وـقـالـ:ـ أـرـجـوـ أـنـ يـنـفـعـهـ اـللـهـ تـبارـكـ تـعـالـىـ بـقـرـبـهـ)[\[4\]](#).

ـوـوـاـضـحـ مـنـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ أـنـ الـمـأـمـونـ هوـ مـنـ تـولـيـ تـجهـيزـ الإـمامـ فـيـ كـلـ شـيـءـ حـتـىـ أـنـ دـفـنـهـ مـعـ الرـشـيدـ.

ـوـفـيـ إـرـشـادـ الـمـفـيدـ (ـوـلـمـ تـوـفـيـ الرـضاـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـتـمـ الـمـأـمـونـ مـوـتـهـ يـوـمـاـ وـلـيـلـةـ،ـ ثـمـ أـنـفـذـ إـلـىـ مـحـمـدـ اـبـنـ جـعـفـرـ الصـادـقـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـجـمـاعـةـ آلـ أـبـيـ طـالـبـ الـذـيـنـ كـانـواـ عـنـدـهـ فـلـمـ حـضـرـوـهـ نـعـاهـ إـلـيـهـمـ وـبـكـيـ،ـ وـأـظـهـرـ حـزـنـاـ شـدـيدـاـ وـتـوـجـعـ وـأـرـاهـمـ إـيـاهـ صـحـيـحـ الـجـسـدـ،ـ وـقـالـ:ـ يـعـزـ عـلـيـ يـاـ أـخـيـ أـنـ أـرـاكـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـ،ـ قـدـ كـنـتـ أـؤـمـلـ أـنـ أـقـدـمـ قـبـلـكـ،ـ فـأـبـيـ اـللـهـ إـلـاـ مـاـ أـرـادـ.ـ ثـمـ أـمـرـ بـغـسلـهـ وـتـكـفـينـهـ وـتـحـنيـطـهـ،ـ وـخـرـجـ مـعـ جـنـازـتـهـ فـحـمـلـهـ حـتـىـ إـلـىـ الـمـوـضـعـ الـذـيـ هـوـ مـدـفـونـ فـيـهـ الـآنـ دـفـنـهـ)[\[5\]](#).ـ وـذـكـرـ أـبـوـ الـفـرجـ فـيـ الـمـقـاتـلـ مـاـ ذـكـرـهـ الـمـفـيدـ رـحـمـهـ اـللـهـ مـنـ أـولـهـ إـلـىـ آخـرـهـ بـأـسـانـيدـ،ـ ثـمـ رـوـيـ بـإـسـنـادـ عـنـ أـبـيـ الـصـلتـ الـهـرـوـيـ أـنـهـ قـالـ:ـ دـخـلـ الـمـأـمـونـ إـلـىـ الرـضاـ يـعـودـهـ فـوـجـدـهـ يـجـودـ بـنـفـسـهـ،ـ .....ـ فـحـضـرـهـ الـمـأـمـونـ قـبـلـ أـنـ يـحـفـرـ قـبـرـهـ وـأـمـرـ أـنـ يـحـفـرـ لـهـ إـلـىـ جـانـبـ أـبـيـهـ ثـمـ أـقـبـلـ عـلـيـنـاـ فـقـالـ:ـ حـدـثـنـيـ صـاحـبـ هـذـاـ النـعـشـ أـنـ يـحـفـرـ لـهـ قـبـرـ فـيـظـهـ فـيـهـ مـاءـ وـسـمـكـ،ـ

احفروا فحفروا، فلما انتهوا إلى اللحد نبع ماء وظهر فيه سمك ثم غاص فدفن فيه الرضا عليه السلام [6].

2-الروايات التي أشارت أن الإمام فقط قام بالتفسيل والتکفین، ولكن غيره قام بالدفن:

أ- كما في رواية هرثمة (قال: فسكت عنی ثم ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسيدي عليه السلام مدرج في أكفانه فوضعته على نعشه ثم حملناه فصلى عليه المأمون وجميع من حضر ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدهم يضربون المعاول دون قبر هارون ليجعلوه قبلة لقبره والمغاول تنبو عنه حتى ما يحفر ذرة من تراب الأرض) [7].

ويظهر منها أن الإمام الجواد -لو سلمنا أنه المغسل- لم يكن قد حضر الدفن ولم يباشر الدفن بنفسه فكيف يقال أنه تولى أمره في كل شيء؟.

ب-عيون أخبار الرضا (ع): الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن ياسر الخادم قال: ..... وكان محمد بن جعفر بن محمد عليهما السلام استأمن إلى المأمون وجاء إلى خراسان وكان عم أبي الحسن فقال له المأمون: يا أبا جعفر اخرج إلى الناس وأعلمهم أن أبا الحسن لا يخرج اليوم وكره أن يخرجه فتنفع الفتنة فخرج محمد بن جعفر إلى الناس فقال: أيها الناس تفرقوا فإن أبا الحسن لا يخرج اليوم، فتفرق الناس وغسل أبو الحسن في الليل، ودفن. قال علي بن إبراهيم: وحدثني ياسر بما لم أحب ذكره في الكتاب [8].

والظاهر من هذه الرواية أن الإمام غسل ودفن ليلاً بمرأى من محمد بن جعفر بن محمد هذا وبعلم المأمون.

ج-وفي رواية عمر بن واقد: ..... وقال لي: يا أبا حفص إكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر، فكشفته فرأيته ميتا فبكى واسترجمت، ثم قال للقوم: أنظروا إليه، فدنا واحد بعد واحد فننظروا إليه ثم قال: تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر بن محمد؟ قالوا: نعم نشهد أنه موسى بن جعفر بن محمد، ثم قال: يا غلام إطرح على عورته منديلا واكتشه، قال: فعل، فقال: أترون به أثرا تنکرونـه؟ فقلنا: لا ما نرى به شيئا ولا نراه إلا ميتا، قال: لا تبرحوا حتى تغسلوه وأكفنـه وادفنه، قال: فلم نبح حتى غسل وكفن وحمل فصلـى عليه السندي بن شاهـك، ودفـناه ورجـنا، فكان عمر بن واقد يقول: ما أحد هو أعلم بموسى بن جعفر (عليـهما السلام) منـي، كيف تقولـون: أنه حـي وأنـا دفـنته [9].

وهي صريحة في أن عمر بن واقد هو من دفن الإمام الكاظم (ع)، هذا أقل تقدير وإن فيها أن السندي بن شاهك صلى عليه، فكيف يقال أن الإمام يتولى كل شيء؟.

د-وصية الإمام لهرثمة في روايته وأبي الصلت في روايته وكاتب الإمام الرضا الحسن بن عباد والتي يوصيهم فيها بمكان دفنه وطريقة تجهيزه، وقد مر<sup>٣</sup> عليك مقاطع من روايتي هرثمة وأبي الصلت وأما ما روي عن الحسن بن عباد كاتب الرضا عليه السلام قال: (.... فقال: احفروا ذلك المكان فإنه سيلين عليكم، وتجدون صورة سمكة من نحاس وعليها كتابة بالعبرانية، فإذا حفرتم لحدي فعمقوه وردوها مما يلي رجلي فحفرنا ذلك المكان وكان المحافر تقع في الرمل اللين ووجدنا السمكة مكتوبًا عليها بالعبرانية: "هذه روضة علي بن موسى، وتلك حفرة هارون الجبار" فرددناها ودفناها في لحده عند موضع قاله).

فإن من قام بالحفر هم هؤلاء ومن معهم من أتباع المأمون وليس الإمام.

هـ-وما جاء في غيبة الشيخ الطوسي: يونس بن عبد الرحمن قال: حضر الحسين بن علي الرواسي جنازة أبي إبراهيم عليه السلام فلما وضع على شفير القبر إذا رسول من السندي بن شاهك قد أتى أبا المصا خليفته - وكان مع الجنازة - أن اكشف وجهه للناس قبل أن تدفنه حتى يروه صحيحًا لم يحدث به حدث، قال: فكشف عن وجه مولاي حتى رأيته وعرفته ثم غطى وجهه وادخل قبره صلى الله عليه [10].

وطاهر هذه الرواية أن أتباع الشاهك هم من دفنتوا الإمام الكاظم بمحضر الحسين بن علي بن الرواسي.

و- غيبة الشيخ الطوسي: لما حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس تحير الرشيد، ..... إلى أن قال: (ثم دفن عليه السلام ورجع الناس، فافترقوا فرقتين فرقة تقول: مات، وفرقة تقول: لم يمت [11]. ونقلها ابن شهرآشوب عنه فيمناقبه [12]).

وطاهر هذه الرواية أنهم هم من دفنته ولم يكن الإمام حاضرًا طاهرًا.

ز- غيبة الشيخ الطوسي: وفي حديث طويل .... وسأل موسى عليه السلام السندي عند وفاته أن يحضره مولى له ينزل عند دار العباس بن محمد في أصحاب القصب ليغسله ففعل ذلك قال: وسألته أن يأذن لي أن أكفنه فأبى وقال: إنما أهل بيته مهور نسائنا وحج صرورتنا، وأكفان موتانا من طهرة أموالنا، وعندي كفني. فلما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره فنظروا إليه لا أثر به،

وشهدوا على ذلك وخرج فوضع على الجسر ببغداد، ونودي: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو عليه السلام ميت. قال: وحدثني رجل من بعض الطالبيين أنه نودي عليه: هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الراافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه، فنظرت إليه، قالوا: وحمل دفن في مقابر قريش، فوق قبره إلى جانب رجل من النوفليين يقال له عيسى بن عبد [13] .

وطا هر هذه الرواية أن من غسل الإمام هو مولاه، ودفن من قبل أتباع السندي.

ح- وفي رواية أبي الصلت الهروي الطويلة مقاطع متعددة ..... ثم قال: سيحرف لي في هذا الموضوع فتأمرهم أن يحرفوا إلى سبع مراقي إلى أسفل وأن تشق لي ضريحه، فان أبوا إلا أن يلحدوا فتأمرهم أن يجعلوا اللحد ذراعين وشبرا فان [ ] تعالى سيوسعه ما يشاء، وإذا فعلوا ذلك فإنك ترى عند رأسى نداوة، ..... فيبينا أنا كذلك إذ دخل علي شاب حسن الوجه، قطط الشعر، أشبه الناس بالرضا عليه السلام فبادرت إليه وقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق، قلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجة [ ] عليك، يا أبو الصلت أنا محمد بن علي. .... ثم قال لي: يا أبو الصلت قم فافتح الباب للمأمون ففتحت الباب، فإذا المأمون والغلمان بالباب، فدخل باكيا حزينا قد شق جيبه، ولطم رأسه، وهو يقول: يا سيداها فجعت بك يا سيدى، ثم دخل وجلس عند رأسه وقال خذوا في تجهيزه فأمر بحفر القبر، فحفرت الموضع ظهر كل شئ على ما وصفه الرضا عليه السلام فقال له بعض جلسائه: ألسنت تزعم أنه إمام؟ قال: بل، قال لا يكون إلا مقدم الناس فأمر أن يحرف له في القبلة قلت: أمرني أن أحفر له سبع مراقي وأن أشق له ضريحه فقال: انتهوا إلى ما يأمر به أبو الصلت سوى الضريح، ولكن يحرف له ويلحد. .... [14] .

وطا هر فيه عدة أمور:

1- أن أتباع المأمون هم من يحرفون، وأبا الصلت يأمرهم أن يحرفوا حسبما وصاه الإمام فال مباشر للحفر هم أتباع المأمون وهم من وضعوه في القبر مع أبي الصلت.

2- أن المأمون عندما دخل عليه وهو ميت لم ير الإمام الجواد بدلاً منه بتجهيز الإمام الرضا.

3- إن ما تبينه هذه الرواية أن الإمام الجواد قام بتغسيله وتكفينه ولم يقم بدفنه.

وعليه: كيف يقال أن الإمام متکفل بكل شيء من التغسيل والتکفين والدفن وما إلى ذلك!.

طــ ما جاء في مروج الذهب للمسعودي: كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام في خلافة المعزى بالله، وذلك يوم الاثنين لأربعين سنة من جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين ومائتين وهو ابن أربعين سنة، وقيل ابن اثنين وأربعين سنة، وقيل أقل من ذلك، وسمعت في جنازته جارية سوداء وهي تقول: ماذا لقينا من يوم الاثنين، وصلى عليه أحمد ابن المตوك على الله في شارع أبي أحمد، ودفن هناك في داره بسا مراء [15].

والخلاصة من كل هذه الروايات أن هناك من قام بتغسيل وتحنيط وتكتفين ودفن الإمام طاهراً غير خفي، ومنه يظهر عدم دقة القول بأن الإمام لا يليه إلا إمام في كل شيء إلا أن يقال أن ذلك في الخفاء كما هو الحال مع الملائكة في حضورها وفي مشاركتها هذه الأمور والنبي الأعظم (ص) بحضوره ودفنه الإمام الحسين، وحينئذ لا يبقى لنا كلام إذا كان المقصود ذلك.

هل تقتضي الضرورة تغسيل غير الإمام للإمام:

ويبقى أنه لو فرضنا صحة أن (الإمام لا يغسله إلا إمام) أو (الإمام لا يليه إلا إمام) فهل أن ذلك مطلقاً أو أنه يمكن أنه يليه ولو في أمر من الأمور إذا اقتضت الحاجة ذلك أو استلزم ذلك شيء من الضرر؟

الطاهر وحسب روايات أهل البيت الثاني وأن الحاجة اقتضت أن يباشر الإمام غيره، بما حسب ما يدعى من خوف الضرر، أو لبعد المسافة بينهم كما هو الإمام الرضا مع أبيه أو الإمام الجواد مع الرضا عليهم السلام - وإن كان لا يبعد طي المسافة لهم - أو لسيطرة الأعداء عليه كما تحكيه رواية كامل الزيارات بحق الإمام السجاد.

ويبدو هذا هو رأي الشيخ المفيد في مسألة دفن الإمام الحسين من أن الضرورة اقتضت أن يتولى أمر الإمام غير الإمام - وهم بنو أسد - كما نقلناه سابقاً عن الإرشاد، ويؤكد هذا التصور من رأيه ما جاء عن تلميذه السيد المرتضى حكاية عنه في الفصول في معرض رده على الناووسية الرافضيين لموت الإمام حيث رروا حديثاً عنه يقول فيه: إِنَّ جَاءَكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنْهُ يَأْنَسَ لَدَهُ وَكَفَّانَدَهُ وَدَفَانَدَهُ فَلَا تُصَدِّقُوهُ. فرد الشيخ المفيد عليهم بوجوه، ومما قال: "وله وجه آخر وهو أنه عنى بذلك كلخلق سوى الإمام القائم بعده لأنه ليس يجوز أن يتولى غسل الإمام وتكتفيه ودفنه إلا الإمام القائم مقامه إلا أن تدعوا ضرورة إلى غير ذلك [16]. ويبدو هذا هو رأي المرتضى أيضاً بنقله وحکاته عن أستاذه .

وكذا الحال مع الشيخ الطوسي في غيبته من أن مولى الإمام الكاظم هو من غسله كما مر ذكر ذلك.

وكذلك الحال مع الشيخ الصدوق مع أنه روى أن الإمام الرضا قد غسل أباه إلا أنه روى روايات كثيرة في أن غيره تولى شؤون أبيه دونه، وقال أيضاً: (لأن الصادق عليه السلام إنما نهى أن يغسل الإمام إلا من يكون إماماً فان دخل من يغسل الإمام في نهيه فغسله لم يبطل بذلك إمامية الإمام بعده ولم يقل عليه السلام: ان الإمام لا يكون إلا الذي يغسل من قبله من الأئمة عليهم السلام فبطل تعلقهم علينا بذلك...).

والحال نفسه مع ابن شهرآشوب فهو مع نقله لبعض الروايات التي تقول (الإمام لا يغسله إلا إمام) أو (الإمام لا يليه إلا إمام) إلا أنه وفي مسألة دفن الإمام تبني - كما هو الظاهر - القول بأن بنى أسد هم من دفناوا الإمام الحسين ولعله يرى أن الضرورة اقتضت ذلك وإنما كان له التسليم بما حدث تاريخياً لوجود روايات (الإمام لا يغسله إلا إمام).

وعليه يمكننا القول: إنه اقتضت الضرورة أن يغسل سليمان بن جعفر الإمام الكاظم أو مولاه، واقتضت الضرورة أن يدفنه عمر بن واقد مع أتباع السندي بن شاهك، كما اقتضت الضرورة أن يتولى المأمون أو محمد بن جعفر بن محمد شؤون الإمام الرضا، بل اقتضت الضرورة أن لا يتولى الإمام الجواد دفن أبيه مع فرض التسليم بتغسيله.

والأهم من ذلك اقتضت الضرورة التي حكتها رواية كامل الزيارات أن يتولى بنو أسد أمر الإمام الحسين ودفنه. (ولقد أخذ [\[1\]](#) ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراغنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم الممضجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام....).

الخبر. وهذا واضح باعتراف زينب الكبرى والإمام السجاد عليهما السلام أن [\[2\]](#) كلف جماعة دونهم يوارون جثت الإمام وأصحابه.

ومنه نرى أنه لا منافاة بين أن (الإمام لا يغسله إلا إمام) وبين تولي غير الإمام شؤون الإمام لأن ذلك مما اقتضته الضرورة، نعم الإمام وفي غير حالة الضرورة وفي حالة تواجهه هو من يباشر كل شيء وقد يعاونه غيره لا بمفرده سواء أكانوا أفراداً خارجيين كما هو المعروف من أن اسماء بنت عميس عاونت أمير المؤمنين في تغسيل فاطمة عليهما السلام، وعاون الفضل بن العباس أمير المؤمنين عليه السلام في تغسيل رسول الله صلى الله عليه وآله، أو الملائكة كما في قول الإمام (معي من يعينني).

ويقر هذا الكلام ما جاء في رواية هرثمة: (إنما نقول إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن

تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامية الإمام لتعدي غاسله ولا بطلت إمامية الإمام الذي بعده بان غلب على غسل أبيه ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه محمد طاها ر مكشوفا ولا يغسله الان أيضا إلا هو من حيث يخفى.....[\[19\]](#).

ويمكن أن نخرج بنتيجة من هذا الكلام - على فرض التسليم به أن هذه القاعدة يمكن أن تكون هكذا (الإمام لا يغسله إلا إمام) إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك .

### الواقع الخارجي ونفس الأمر:

تارة نتحدث عن حدوث الأمر- أعني التغسيل والتحنيط والتكتفين والدفن - خارجياً وتارة نتكلم عن نفس الواقع الذي لا يلاحظ خارجياً من قبل الناس، إما من قبل كل الناس كما في رواية هرثمة حتى أن هرثمة نفسه لم يشاهد الإمام أو يراه فرد من الناس كما في رواية ابن الصلت.

فإن كنا نتحدث عن الواقع الخارجي - وهو ما نقصد من كل هذا الكلام - فنحن أمام الأدلة ولو وازنا بين روايات تغسيل غير الإمام للإمام، وبين تغسيل الإمام للإمام السابق فإننا نجد أن الروايات الأولى أكثر عدداً واعتباراً، وإذا قلنا إنما الكلام عن نفس الأمر الواقع - وليس هذا حديثنا - يمكننا القول أن الملائكة أو النبي محمداً (ص) هو من يباشر ذلك في نفس الأمر الواقع كما نقلنا ذلك سابقاً من قيام النبي في دفن الإمام الحسين وهذا لا يعارض الواقع الخارجي الذي يتولى فيه غير الإمام شؤون الإمام.

### فعل التغسيل صفة :

نعم يبقى هنا شيء وهو: هل أمر التغسيل والتكتفين والدفن فعل خارجي أو صفة يتصرف بها الإمام؟

إن كان هذا الفعل فعلاً خارجياً فلا بد أن يرى ويعرف كما هو الحال في تغسيل أمير المؤمنين للنبي وهذا مما لا خلاف فيه فقد عرف بين المسلمين عامة أن من غسل رسول الله هو أمير المؤمنين، وإن كان صفة من الصفات فقد يلاحظ وقد لا.

والذي يبدو من ظاهر بعض الروايات أن الكلام عن التغسيل إنما هو فعل من الأفعال لذا رأينا الإمام يؤكّد الفعل وليس كونه صفة من الصفات كما في رواية أحمد بن عمر الحلال (... إن قال مولاي إنه غسله تحت عرش ربِّي فقد صدق وإن قال: غسله في تخوم الأرض فقد صدق قال: لا هكذا [قال] فقلت: فما أقول لهم؟ قال: قل لهم: إني غسلته، فقلت: أقول لهم إنك غسلته؟ فقال: نعم). فالإمام هنا لا يتحدث عن صفة من الصفات بل يؤكّد فعلاً من الأفعال (إني غسلته)، ولذا فإن الإمام الصادق يوصي ابنه الإمام الكاظم بأنه يغسله فعلاً لا أنه يحكي عن مجرد صفة وإن كانت هي من شؤونه المفترضة (قال موسى بن جعفر (ع): فيما أوصاني به أبي ان قال: يابني إذا أنا مت فلا يغسلني أحد غيرك فان الإمام لا يغسله إلا إمام واعلم أن

عبد الله أخاك سيدعو الناس إلى نفسه فدعاه فان عمره قصير، فلما مرض غسلته كما امرني [201].

ومن ذلك استعظام المفضل بن عمر لتفسيل أمير المؤمنين ( فعل التفسير) لفاطمة [21] فإن الاستعظام لل فعل وليس للصفة .

ولو قلنا أن ( فعل التفسير) هو صفة من الصفات هل يجب عقلاً أن ثبت للأخرين ليسلموا أنه الإمام أو لا ينبغي، فمثلاً من صفات الإمام كونه عالماً فهل هذه الأعلمية ضرورية الظهور للناس بحيث أنهم يسلمون بأعلميته على أقرانه كما شُهد بأعلمية أمير المؤمنين على الصحابة أو الإمام الصادق على أقرانه أو لا ؟

فإذا قلنا بضرورة ظهور هذه الصفة هل يعني عدم ظهورها إخلال بالصفة أم لا؟ وإذا قلنا بأنه ليس ضرورياً ظهور كما هي العصمة مثلاً فإن كثيراً من أصحاب الأئمة ما كانوا يعتقدون في الأئمة بأنهم معصومون كما ذكر ذلك الشهيد الثاني في (حقائق الإيمان) ص 151 منه بقوله:

(... فإن كثيراً منهم ما كانوا يعتقدون عصمتهم لخفايتها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنهم علماء أبرار، يعرف ذلك من تتبع سيرتهم وأحاديثهم. وفي كتاب أبي عمر الكشي رحمه الله جملة مطلعة على ذلك، مع أن المعلوم من سيرتهم عليهم السلام مع هؤلاء أنهم كانوا حاكمين بإيمانهم على عدالتهم) حتى قيل أن العلماء اليوم بل حتى العوام أقدر وأعرف من أصحاب الأئمة في معرفة مقامات الأئمة وصفاتهم !!، وعليه فإن عدم اطلاع الناس على هذه الصفة لا ينفي كونهم متصفين بها، وإن انتفت هذه الصفة في وقت من الأوقات أو بلحاظ من اللحاظ هل تنتفي هذه الصفة كليةً أو تنفي الإمامة عنها فمثلاً عندما نقول أن الإمام لا بد أن يكون عالماً، وهو لا يعلم متى تقوم الساعة كما هو صريح القرآن وروايات أهل البيت، فهل انتفاء هذه الصفة في هذه الحالة - عدم معرفة وقت الساعة - يعني انتفاء الصفة كليةً أو لا؟

الصحيح أن انتفاء الصفة آناً ما وبلحاظ ما لا يعني انتفاء الصفة، ولا الاخلال بها، ولكن يعني عدم الضرورة لها في كل الحدود، فإذا علمنا أنه عالم، ولكن الله لم يطلعه على كل شيء، وليس عالماً بكل شيء فهذا لا ينفي كونه أعلم من غيره من الناس، وإذا قلنا إنه من صفاتي تفسير الإمام فإن عدم تفسيره لا ينفي ذهاب الصفة منه، وكل ذلك فلسفة طويلة لا طائله منها لأن التفسير بما هو تفسير فعل من الأفعال فإذا فعل الإمام هذا الفعل عرفناه - حسب الروايات- وإذا لم يفعل عرفنا أنه لم يفعل فأمير المؤمنين قاتل مع رسول الله في كل الغزوات والجروبات وتختلف ولم يقاتل في غزوة واحدة وليس هذه مثلاً من صفات الإمام، نعم تختلف الإمام عن تفسير الإمام - إذا اعتبرناه صفة- لا يعني انتفاء هذه الصفة عنه، تماماً

لكون الإمام هو الإمام تولى على أرض الواقع الإمامة والخلافة كما هو أمير المؤمنين أو لم يتول الخلافة، كأمير المؤمنين في وقت خلافة الخلفاء الثلاثة وبقية الأئمة في خلاف بني أمية وبني العباس وهذا لا ينفي أنه هو الإمام المفترض الطاعة وإن كان ليس بيده شيء على أرض الواقع في ظل الحكومات المسيطرة على الحكم.